الرياض

أنقذوا جامعة الدول العربية من الغيبوبة

حمد بن عبدالله اللحيدان

على الرغم من مرور 59سنة على إنشاء جامعة الدول العربية إلا انها عاشت حتى الآن كالمريض الذي ليس صحيحاً فيرجى ولا ميتا فينعى حيث لازالت مشلولة الفعالية وذلك لاعتبارات كثيرة لعل منها انها لازالت تحتفظ بميثاقها الذي كتب تحت ظروف استثنائية تتمثل في الاستعمار وان كانت قد أضافت بعض الاتفاقيات والمعاهدات والقرارات. وعلى الرغم من ذلك العمر المديد إلا ان تلك المنظمة ظلت ومازالت عبارة عن هيئة للتعاون الاختياري بين الدول الأعضاء ذلك أن قرارات الجامعة تعتمد على قاعدة الاجماع ولا تلزم إلا الدول التي توافق عليها فقط ولا تصبح لها قوة تنفيذية إلا إذا اتخذت الدول التي توافق عليها الاجراءات التشريعية اللازمة لتنفيذها.

كما أن مصدر الضعف الآخر للجامعة العربية هو غياب فكرة التحكيم الإجباري من اختصاصات الجامعة لفض المنازعات التي قد تنشأ بين الدول الأعضاء. وعلى الرغم من المحاولات المستمرة لتعديل ميثاق الجامعة العربية والمناداة بفكرة اضافة التحكيم الاجباري إلا أن هناك قوى تعمل على أن تبقى تلك المنظمة بمثابة هيئة للتعاون الاختياري أي جسما بلا روح. محدود الفعالية فعلى سبيل المثال في حالة حدوث نزاع بين دولتين من دول الجامعة أو بين دولة من دول الجامعة وأخرى خارجها فإنه لا يحق لمجلس الجامعة التدخل بالوساطة والتوفيق بين هذه الدول إلا إذا طلبت تلك الدولة ذلك من مجلس الجامعة كما أن قرارات المجلس في حالة الوساطة حتى إذا طلبت منه أطراف النزاع التدخل - ليست ملزمة لتلك الأطراف إلا إذا وافقت تلك الأطراف عليها أي أن قبول قرارات المجلس في حالة الوساطة هو شرط تنفيذ هذه القرارات من قبل الأطراف المتنازعة وهذا على عكس ما هو معمول به في ميثاق الأمم المتحدة الذي وضع نظاماً لفض المنازعات بالطرق السلمية له كثير من صفات الإلزام حيث تشمل المادة 33منه على تدابير متنوعة عسكرية وغير عسكرية. لذلك فإن الدعوة إلى أن تتبنى الجامعة العربية نظاماً شبيهاً أو قريباً من نظام الأمم المتحدة لفض المنازعات بالطرق السلمية يصبح في هذا الوقت أكثر الحاحاً من أي وقت مضى.

ومن ناحية أخرى يعاني ميثاق الجامعة العربية من عدد من الثغرات مثل عدم تحديد مفهوم للعدوان ووجوب الاجماع في اتخاذ القرارات والتي تعني أن كل دولة لها حق الفيتو ذلك انه إذا اعترضت أي دولة على أي قرار فإن هذا يمنع صدوره. ومن المشاكل الأخرى التي تعاني منها الجامعة العربية أن المنظمات العربية المتخصصة تتمتع طبقاً للمعاهدات المنشئة لكل منها بشخصية مستقلة أو شبه مستقلة عن الجامعة العربية وتتفاوت تلك الدرجة من الاستقلالية من منظمة إلى أخرى ليس هذا فحسب بل ان المنظمات العربية المتخصصة والتي يربو عددها على عشرين لم تستطع تحقيق كل ما تصبو إليه من أهداف نظراً لحداثتها من ناحية وضعف الاهتمام بفكرة التكامل العربي حتى الآن كما أن عدم وجود أداة للتنسيق بين نشاطات تلك المنظمات فيما بينها من جهة وفيما

بينها وبين النشاطات التي تقوم بها أجهزة الجامعة العربية من جهة أخرى يجعل هناك كثيراً من العمل وقليلا من الانجاز. على عكس ما هو قائم مثلاً في منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها العالمية المتخصصة.

وهذا يعني أن الصلة القانونية بين جامعة الدول العربية وبين المنظمات المتخصصة لا يحكمها إطار قانوني واحد ولا قاعدة موحدة على الرغم من مجلس الجامعة اتخذ عدة قرارات عام 1972م يقضي بإشراف مجلس الجامعة على تلك المنظمات من الناحية الفنية والمالية إلا ان الحبل لايزال على الغارب فكل يعمل على شاكلته.

وغني عن القول أن هناك عددا من المنظمات التي أقرت من قبل مجلس الجامعة العربية لكنها لم تخرج بعد إلى حيز الوجود مثل منظمة العدل العربية ومؤسسة الخطوط الجوية العربية العالمية والمعهد العربي لبحوث البترول والهيئة السينمائية العربية المشتركة أما المنظمات العاملة والتي ربما تكون قد حققت بعض الانجازات فيمكن أن نذكر منها-:

-1منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول ومقرها الكويت.

-2المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومقرها تونس.

-3المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة ومقرها الرباط (المغرب.(

-4المنظمة العربية للتنمية الزراعية ومقرها الخرطوم (السودان.(

-5المنظمة العربية للتنمية الصناعية ومقرها في بغداد (العراق.(

-6منظمة العمل العربية مقرها المؤقت بغداد (العراق.(

-7المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ومقرها عمان (الأردن.(

-8المنظمة العربية للثروة المعدنية ومقرها الرباط (المغرب.(

-9المنظمة العربية للعلوم الادارية ومقرها عمان (الأردن.(

-10صندوق النقد العربي ومقره أبوظبي (الامارات.(

-11المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا ومقره الخرطوم (السودان.(

-12المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية ومقرها الرياض (السعودية.(

-13الاتحاد العربي للمواصلات والاتصالات السلكية واللاسلكية ومقره بغداد (العراق.(

بالاضافة إلى عدد من الاتحادات والمنظمات والمراكز التي بعضها يعمل وبعضها لم يخرج إلى حيز التنفيذ أو مشلول الفعالية.

وبعد هذه المقدمة التعريفية المختصرة عن جامعة الدول العربية يجب أن نشير إلى أن تلك الجامعة قد أدت بعض ما يجب عليها من التزامات تجاه العمل العربي المشترك ولكنها ظلت مثل الرجل المريض الذي لا يستطيع القيام بواجباته كما يجب وأعتقد أن السبب هو نظام الجامعة العربية وميثاقها العتيق الذي وضع إبان حقبة تاريخية عصيبة من عمر الأمة العربية.

إن العالم العربي اليوم غير العالم العربي بالأمس فاليوم يشكل العالم العربي قوة اقتصادية وجماهيرية وعسكرية بل إن موقعه يشكل نقطة ارتكاز استراتيجي عالمي يحسن بهذه الأمة الاستفادة منه لذلك فإن الأمل معقود على مؤتمر القمة العربية الذي سوف يعقد في أواخر شهر مارس في الجمهورية التونسية الشقيقة والذي ربما يكون أمامه ثلاث مهام جوهرية هي:

-1النهوض بدور الجامعة العربية وإعادة هيكلتها وإعادة كتابة ميثاقها بصورة عصرية أكثر حيوية وبما يتوافق وتطلعات هذه الأمة وواقعها المعاصر وبما يجعلها منظمة قادرة وفاعلة على غرار منظمة الوحدة الأوروبية ومنظمة الأمم المتحدة بهيئاتها ومنظماتها المختلفة وغيرها من المنظمات الأكثر فعالية على أن يكون للجامعة العربية دور أكبر من مجرد هيئة للتعاون الاختياري وأن يفعل دورها في حمل الرسالة العربية إلى أمم الأرض.

-2إظهار التضامن العربي الفاعل إلى حيز الوجود وبناء استراتيجية عربية مشتركة خصوصاً أن العالم العربي يشكل واسطة العقد في المنظومة الدولية من حيث الموقع والمنافذ البرية والبحرية والجوية ومن حيث القوة الاقتصادية ومصادر الطاقة ناهيك عن أنه سوق جبارة يحسب لها ألف حساب لو كان له كلمة موحدة واستراتيجية مشتركة.

-3على أن من أهم معوقات جامعة الدول العربية هو بقاؤها أسيرة الوضع المالي لها فجميع فعالياتها مربوطة بقيام الدول الأعضاء بتسديد حصتها من ميزانية الجامعة والتي لا يتم الالتزام بها من قبل البعض أو التأخر فيه أو خضوعه للمناورة والمماطلة حسب الأجواء السياسية لذلك فإن العمل على جعل تلك المنظمة ذات استقلالية مالية ولو بصورة جزئية سوف يفعل من أعمالها خصوصاً تلك التي تتعلق بالأمور غير السياسية ولذلك فإن مؤتمر القمة مندوب لدراسة وضع الجامعة ودعمه من خلال:

@ان تقوم كل دولة عربية بمنح جامعة الدول العربية فرصا استثمارية مثل بعض العقارات في عاصمتها وكل مدينة كبرى فيها وهذا يمكن الجامعة من إقامة مقر لها في تلك الدول بالاضافة إلى استثمار الجزء الباقي في أمور تعود على الجامعة بعائد اقتصادي مجز.

@أن تقوم جامعة الدول العربية ومن خلال الأعضاء بإنشاء بنك عربي للإنشاء والتعمير على غرار البنوك الدولية للإنشاء والتعمير وصندوق للنقد العربي على غرار صندوق النقد الدولي يعملان على تقليص الفوارق الاقتصادية وتوحيد العملة على المدى الطويل ناهيك عن القيام بدراسة المشاريع المشتركة وتذليل الصعوبات أمام بعض أنواع الاستثمار ناهيك عن دعم ميزانية الجامعة بمردود اقتصادي جيد آخذين بعين الاعتبار تجربة الاتحاد الأوروبي ومسيرته الناجحة.

@إنشاء جامعة تطبيقية علمية متقدمة لها فروع في جميع الدول العربية على أن تكون على غرار الجامعة الأمريكية التي تنتشر فروعها في بعض الدول العربية على أن تكون تلك الجامعة الوليدة نموذجا يحتذى من حيث الكيف والكم وبحيث تشكل نواة لوحدة تعليمية مشتركة على مستوى العالم العربي تضمن التقارب وتحارب الفرقة وتدق على وتر المصالح المشتركة لشعوب العالم العربي.

@إنشاء معاهد متخصصة لتعليم اللغة العربية في جميع أنحاء العالم وخصوصاً الدول الإسلامية وذلك على غرار المعاهد التي تقيمها كل من بريطانيا وأمريكا في الدول الأخرى لتعليم اللغة الانجليزية وسوف يكون لذلك مردود اقتصادي جيد على ميزانية الجامعة ونشر اللغة والثقافة العربية.

@إنشاء أكبر دار نشر على مستوى العالم العربي تعنى بنشر العلوم والثقافة وتقوم بالترجمة وان يكون همها الأول المصلحة العليا للأمة العربية دون الدخول في دهاليز الشقاقات البينية. وان تكون تلك الدار نافذة ذات اتجاهين أحدهما ينقل من العرب إلى الآخرين ما يصحح صورة العرب لديهم والثانية تنقل ما لدى الآخرين من أمور جيدة يحتاج إليها العرب.

@العمل على تسريع إنشاء السوق العربية المشتركة على أن تؤخذ السوق الأوروبية المشتركة كنموذج يحتذى به في هذا الخصوص ويمكن أن يتم توسيعها لتشمل دولا أخرى في الشرق الأوسط مثل إيران وتركيا وغيرهما مما يعزز من انتماء تلك الدول إلى المعسكر العربي ويقلص الدور الإسرائيلي فيها ذلك أن مصلحة تلك الدولة مع العرب وليس مع الإسرائيليين.

@تفعيل الدور الإعلامي لجامعة الدول العربية من خلال إنشاء صحيفة ومحطة اذاعية وقناة تلفزيونية على درجة عالية من الكفاءة والدقة والمصداقية ويكون همها تأكيد الثوابت المشتركة والعمل على ترسيخها والبعد عن الخلافات البينية والاقليمية ناهيك عن مخاطبة الشعوب الأخرى بلسان حال العرب مجتمعين كما أن مثل تلك الفعاليات الإعلامية سوف يجعل للجامعة دورا مؤثرا في الأحداث ويتيح لها فرصة التفاعل مع كل مستجد كما أن ردة فعل الجامعة العربية الايجابية أو السلبية تجاه الأحداث يرفع الحرج عن ردود الفعل الفردية لكل دولة ويظهر العرب كأمة لها مصدر واحد يتحدثون من خلاله.

@رفع مستوى تمثيل جامعة الدول العربية في الدول الأخرى وتوسيع انتشارها لتشمل جميع دول العالم المؤثرة على الساحة الدولية وقيامها بعقد اتفاقيات صداقة وتعاون مع المنظمات الاقليمية والدولية الأخرى بحيث يصبح لها حضور فاعل في فعاليات تلك المنظمات.

@إعادة هيكلة المنظمات العربية السالفة الذكر وتفعيلها بما يتناسب ودورها المستقبلي الذي تفرضه الظروف الطارئة على الساحة الاقليمية والدولية بصورة عامة والشرق أوسطية بصورة خاصة خصوصاً ان أغلب تلك المنظمات لا يوجد خلاف جوهري حول فعالية كل منها.

@من خلال الجامعة العربية القوية سوف يكون للدول العربية موقف موحد من الأحداث التي تتم على مسرح الشرق الأوسط مثل أحداث العراق وفلسطين كما أن ذلك سوف لن يسمح بأن يكون للدول الصغرى المطمورة دور المرشد والمسيس بالاضافة إلى أن ذلك سوف يعمل على أن لا تكون الدول الفاعلة أقل قدرة على الحركة ومواجهة متطلبات العصر وذلك حتى لا تنقلب الأمور وتسير بالمعكوس، خصوصاً ونحن نشهد تقلبات جذرية في بعض السياسيات والتي لا تنم عن جديد بقدر ما تم عن دور مرسوم لها تحت مقتضيات الحال تنفيذه.

@اتركوا الجامعة العربية تحمل بعض أعباء المنطقة بعد إعادة هيكلتها وصياغة ميثاقها بما يتناسب مع متطلبات الظروف العصيبة التي تمر بها الأمة ان جامعة الدول العربية لو وقفت على أقدامها كمنظمة دولية اقليمية فاعلة لاستطاعت أن تحمل عبئا كبيرا عن كاهل الحكومات العربية خصوصاً عندما تتحدث مع المنظمات الأخرى باسم العالم العربي الموحد ذي الموقع الاستراتيجي وذي التعداد السكاني الكبير وذي المصادر الاقتصادية الرائدة وذي السوق الاستهلاكية الواسعة ناهيك عن أنه مصدر الطاقة العلمي ويشرف على أهم الممرات البحرية والجوية والبرية التي تربط جميع أنحاء العالم فهل يعي العرب أهميتهم وأهمية موقعهم وأهمية أن تكون لهم منظمة فاعلة ناطقة باسمهم مجتمعين.

لقد حان للأمة العربية أن تولد من جديد فهي اليوم أكثر وعياً ونضجاً من الأمس وهي اليوم أكثر تعليماً وانفتاحاً وسكاناً وهي اليوم أكثر ما تكون حاجة للاتحاد والقرار الصائب والمناسب وهي اليوم مستهدفة أكثر في استقلالها وثقافتها ومعتقداتها وشعوبها وثرواتها أكثر من أي وقت مضى ناهيك عن أن الأمة العربية يفترض بها أن تكون أكثر اتزانا وعقلانية وانضباطا لذلك فإن هذا كله يؤهل لميلاد تكتل عربي قوي يواجه إعصار الهجمة الصهيونية على المنطقة كما يواجه عصر التكتلات الاقتصادية الكبرى مثل الاتحاد الأوروبي ومنظمة الدول السبع والكتلة الأمريكية الكندية المكسيكية الكبرى وتكتل دول جنوب شرق آسيا ومستجدات المصالح الأمريكية في المنطقة ومنظمة التجارة العالمية وعمالقة الشركات الكبرى التي اصبحت كالأخطبوط الذي يمد أذرعته عبر الحدود والحواجز بغرض فرض التبعية والشروط من موقع القوة وكل ذلك لن يمنعه أو يردعه أو يعيقه إلا منظمات قوية قادرة على المنافسة والتعاون والمقاطعة إذا لزم الأمر ناهيك عن أن ذلك يمنع تفرد العدو بالدول العربية كل على حدة كما هو قائم حالياً.

وفي الختام لا يسع الجميع إلا أن يقدر الجهود الرائدة التي يبذلها صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني حفظه الله في سبيل تحقيق لم الشمل العربي وإبرازه إلى حيز الوجود ناهيك عن مبادراته النيرة في سبيل رد الحقوق المشروعة والعمل على استقرار المنطقة. والله المستعان.